

مفاهيم القرآن

(130) عنده من علوم مستودعة. ولهذا أيضاً عمد علماء الإسلام إلى تأليف كتاب حول شأن نزول الآيات، كالواحي وغيره، جمعوا فيها ما عثروا عليه من وقائع وأحاديث في هذا السبيل. على أن بعض الآيات ما لم يضم إليها، ماورد حولها من شأن النزول لكانت غير واضحة المقصود، وإليك نماذج من ذلك: 1- قوله سبحانه: (يَسْأَلُ لُؤْلُؤُكَ عَنْ الْأَهْلِةِ قُلُوبَهُمْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّجَّاسِ وَالْحَجَجِ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة: 189). فيقال: أي مناسبة بين السؤال عن الأهلّة والإجابة عنها بأنّها مواقيت للناس وبين قوله: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا . . .) وعلى فرض وضوح المناسبة؛ ماذا يقصد القرآن من هذا الدستور (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) ؟ أليس هذا توضيحاً للواضح؟ ولكن بالمراجعة إلى ما ورد حوله يظهر الجواب عن كلا السؤالين. 2- قوله سبحانه: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّارَ لَبَّاسٌ كَانَ زُورًا بآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) (النمل: 82). فما هذه الدابة التي تخرج من الأرض، وكيف تكلمهم ومع من تتكلم؟. 3- وقوله سبحانه: (وَاعْلَی الثَّالِثَةَ السَّاعَاتِ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ثُمَّ تَبَّاعْلَیْهِمْ لِيَتَذَكَّرُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ) (التوبة: 118). إلى غير ذلك من هذه الآيات التي تتضح الحقيقة فيها بالمراجعة إلى ما حولها من الأحاديث الصحيحة. هذا هو مجمل القول في علاّة احتياج القرآن إلى مبيّن، وللوقوف على تفصيله لابدّ من بسط الكلام والتوسع في الحديث، وقد ألفنا في ذلك رسالةً خاصّة.